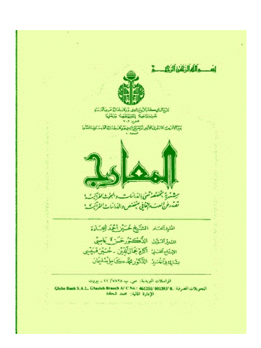
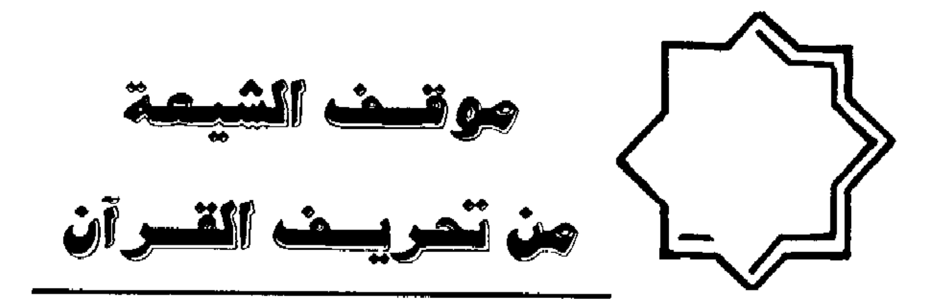


موقف الشيعة من تحريف القرآن

پديدآورنده (ها) : الوائلى، أحمد

علوم قرآن و حديث :: نشريه المعارج :: محرم ۱۴۱۴ - العدد ۱۸ و ۱۹ و ۲۰



موقف الشيعة من تحريف القرآن

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

هذا موضوع من أدق المواضيع ومن أكثرها أهمية ، وسوف أتناوله باختصار ووضوح وبقدر ما يسمح لي توفر المصادر عندي هنا فأقول :

كل بحث يدور حول القرآن الكريم لا بد من اعطائه أقصى حدود العناية المستطاعة وذلك لمكانة القرآن الكريم عند الانسانية عامة وفي نفوس المسلمين بصورة خاصة بصفته منبع عقائدهم ومصدر أحكامهم ، تطمئن بما فيه من الذكر نفوسهم ويتفيئون ظلال بركته ويهيمون في أجوائه الروحية .

وبالنظر لمكانته هذه فكل بحث يدور حوله لا بد أن يكون بمستوى المسؤولية في هذا الوضع ، ونحن إذ نتحدث اليوم بموضوع هو من أشد المواضيع حساسية فيما له علاقة بالقرآن : وهو موضوع ـ إدعاء (دعوى) وقوع التحريف بالقرآن ـ يجب أن نتلمس طريقنا في حذر شديد وأقسم وأنا أكتب هذه الكلمات : أن قلبي لا يطاوعني على مجرد سطر هذا العنوان المذكور ، وأعتقد أن ذلك شعور كل مسلم يؤمن با لله ورسوله وكتابه . إن مجرد افتراض وقوع هذا المعنى في القرآن الكريم يعتدي على أغلى صورة قدسية في صميم وجدان المسلم . لكن وبرغم ذلك كله دار الحديث والكلام حول وقوع التحريف وعدمه .

وقد راق هذا الحديث لكثير من أعداء الإسلام فاغتنموا الفرصة عند حدوث مثل هذا التساؤل ووسعوا الحديث في ذلك وأطالوا الوقوف لا للتحقيق ، بل للفت نظر أكبر عدد من الناس إلى وجود هذا الاحتمال ولحاجة في نفوسهم .

وقد استغلوا جهل وعصبية بعض المسلمين فحركوا أقلامهم ودفعوها إلى الجموح في نزاع على مختلف أبعاد العقيدة ومنها هذا البعد ، فراحت تشتم وتكيل السباب دون تثبت وبغير أن تتبين مصدر هذا الدفع فسارت في طريقها تحقق لأعداء الإسلام في عملها هذا اهدافهم . ولعل من ابرز أهداف أعداء الإسلام ما يلي :

آ ـ إماتة الحساسية المقدسة في نفوس المسلمين إزاء كل اعتداء على القرآن الكريم وذلك انه إذا تكررت امثال هذه الدعاوى من وقوع التحريف والشبه الأخرى وكثر الخوض فيها : فإن وقعها على النفوس يخف وبالتالي ينفتح الباب إلى ما هو أوسع مدى وتصبح أمثال هذه الأمور مألوفة الافتراض لا تسبب أي تشنج عند المسلم .

ب ـ وعند حصول هذه الشبه لا بد من حصول جدل حولها يعملون على توسيعه ودفعه إلى أكثر من مجرد جدل . وليس ببعيد عنا مشكلة خلق القرآن وعدم خلقه التي أثيرت في أيام المأمون وحدثت بسببها الرزايا والمصائب وأدت إلى فجائع دامية لا تزال في قلب كل مسلم .

جـ ـ طرح الشك في معطيات الآيات الكريمة ومتى حدث ذلك فقد القرآن حجيته لأننا إنما نتمسك بحجية ظواهر القرآن اعتماداً على أنه تام ، وأن الموجود بين أيدينا هو كل القرآن الكريم ، فاذا قيل أن بعض القرآن مفقود فمعنى ذلك انفتاح باب الاحتمال في أن بعض ما فقد قد يكون مخالفاً لظهور القرآن الكريم في معانيه الحالية وأحكامه . وينهار تبعاً لذلك كل البناء لأن الاسلام هو القرآن الكريم بكل ما نزل به من أحكام وإرشاد وتوجيه .

د ـ إن طرح أمثال هذه الأمور وخصوصاً على المستويات العامة يخلق تيارات مختلفة في الأخذ والرد يلهي الناس ويصرفهم عن التفكير في قضاياهم العامة وعندها يتسنى للجهات المشبوهة أن تصطاد في الماء العكر وتتسلل من الجهات الخلفية لتحقيق مصالحها ، وإلى أن تفتح أعينها على مصدر هذه الحركات يكون الأوان قد فات واقدام المستعمرين قد رسخت رسوخاً تتعذر إزالته بسهولة .

وقد يقول قائل : إذاً ما هو الداعي لاثارة أمثال هذا البحث في هذا الوقت بالذات ؟ .

وهو على حق بذلك : والجواب أننا مع شديد الأسف نسـمع أصواتـاً ترتفـع هذه الأيام لنبش أمثال هذه المواضيع وهي بين أمرين :

إما أن تكون منبعثة بحسن نية وعلى ترسل وإن وصل إلى حد البلاهة .

وإما أن يكون لها من وراء ذلك غرض ليس بالنظيف . وعلى كلا الحـالين إن استعراضنا لهذا الموضوع سيكون إلقاء الضوء على ما في قلـب هـذا الظـلام الـذي يصور بشكل مهول بينما هو لا يتعدى في واقعه (في كثير من الحالات) الحـرص على سلامة العقيدة مـن تسـرب التشـكيك اليهـا وإن اقـترن بشـيء مـن العاطفـة أحياناً، إننا نريد أن نوصد الأبواب بوجه كل مفتر مشبوه ، ونطـرح أمـام جيلنـا المسلم مشاكلنا الفكرية بالروح الموضوعية الهادئة والواعية والتي مهمتهـا الكشـف عن نبل وسلامة مقاصد العلماء عند تعرضهم لمعالجـة أمثـال هـذه القضايـا ، فقـد يكون كل طرف منهم استند في رأيه إلى شبهة لم يلتفـت إليهـا أحـد ، أو إلى راوٍ أحسن الظن به ، أو إلى مقدمات ظنها منتجة وهي ليست كذلك وهكذا .

وسأعرض للموضوع بتركيز وإيضاح نظراً لطوله وغموضـه محـاولاً الوصـول إلى النتيجة بسهولة .

معنـى التحريـف :

للتحريف معان متعددة : اعتاد المفسرون أن يقسموها لما هو آتٍ :

١ ـ قد تستعملُ لفظ التحريف في النقل مـن مكـان إلى مكـان آخـر كمـا في قوله تعالى : ﴿ **من الذين هادوا يحرفـون الكلـم عـن مواضعـه** ﴾ النسـاء: ٤٦ . ومن هذا القبيل كل من فسر القـرآن برأيـه فقـد نقـل معنـاه الصحيـح عـن لفظـه وبالعكس ، وأنت واجد هذا المعنى بكثرة في تفاسير المجسمة والمشبهة وأهل البدع والتناسخية وقد اتبعت هذا المعنى في كتيب أسميته (نحو تفسير علمي للقرآن) .

٢ ـ وقد يطلق لفظ التحريف علـى زيـادة حـرف او نقصـه ، وزيـادة حركـة ونقصها والتحريف بالمعنى الأول موجود بالقرآن قطعاً وأدلتـه موجـودة بكـثرة في كل أبعاد التفسير سواء كان ذلك بقصد أو غير قصد .

وأما بالمعنى الثاني وهو زيادة ونقص حرف أو حركة فهو موجود أيضـاً بنـاء على عدم تواتر القراءات للقرآن الكريم كما هو الواقع على رأي المحققين وذلك :

لأن القراءات قسمان قسم هو من اجتهاد القراء ، وقسم منقول إلينا بأخبار الآحاد وليس بالتواتر ، فهو على هذا غير متواتر ، وبتعبير آخر نقول :

أولاً : ان المسلمين أجمعوا على أن ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر وذلك لتوفر الدواعي إلى نقله باعتباره أساس الدين كله ومصدر الأحكام للمسلمين . فإذا نقل إلينا بطريقة الآحاد فلا يمكن اعتباره قرآناً ، أو لا نعتبره قرآناً لأنه لو كان قرآناً لتواتر نقله و لم يقتصر على آحاد .

ثانياً : إن القراءات السبع أو العشر نقلت إلينا بطريق الآحاد كما أثبت ذلك المحققون ومن أظهر الأدلة على كون القراءات منقولة بطريقة الآحاد :

آ ـ أن كل قارىء من القراء العشرة يذهب هو وأصحابه إلى صحة قراءته ويعرض عن قراءة غيره ويستدل على صحة قراءته بترك القراءات الأخرى وذلك دليل على أن القراءات اجتهادية ، ولو كانت متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما احتاجت إلى الاستدلال على صحتها ، كما أنه لا يبقى وجه لاختيار احداها دون الأخريات .

ب ـ إن جملة من المحققين نفوا كون القراءات متواترة وأنكروا عليها ، ولو كانت القراءات متواترة لما صح إنكارهم عليها ، ومن هؤلاء ابن جرير الطبري فقد أنكر قراءة ابن عامر ، وطعن في كثير من القراءات غيرها .

وقد أنكر قراءة ابن حمزة كل من الامام أحمد بن حنبل ، وعبد الرحمن بن مهدي الذي يقول الشافعي فيه لا أعرف له نظيراً في الدنيا ، الخ .

جـ ـ إن كثيراً من العلماء أنكروا تواتر القراءات التي لا يظهر لها وجه في اللغة العربية ضرورة أن القرآن نزل بلغة العرب فإذا لم يوجد له وجه في لغة العرب فلا بد أن لا يكون قرآناً . وفي ذلك يقول ابن الجزري :

« كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه . ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها . ولا يحل انكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة

أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف » [1]

ومن الجدير بالذكر أنه لا ملازمة بين عدم تواتر القراءات وعدم تواتر القرآن فإن القرآن متواتر والقراءات غير متواترة كما ذكرنا ذلك ، مثل ذلك مثل الخلاف في النطق بكلمة مع تواتر نقلها . وإلى عدم هذا التلازم ذهب كل من الزرقاني في مناهل العرفان ، والسيوطي في الإتقان ، ذهب إلى تواترها عن القراء لا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى ذلك أنها اجتهادية منهم .

كما أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة ومن تصور ذلك فهو واهم ، كما نصوا على ذلك[2] يقول السيوطي في الإتقان أن القراءات السبع هي لهجات سبع وليست الحروف السبعة[3] وعلى كل حال فقد انتهينا من جميع ما ذكرنا إلى أن عدم تواتر القراءات معناه وجود زيادة أو نقص في حرف أو حركة بالقرآن من جهة اختلاف القراءات ، أما أصل القرآن كما أنزل فهو محفوظ من التحريف لأنه يطابق إحدى القراءات المذكورة والجامعة لشروط الصحة .

٣ ـ وقد يراد من التحريف زيادة أو نقص كلمة ، وذلك يتصور في الفترة التي سبقت إحراق المصاحف إذ أحرقها الخليفة الثالث وجمع الناس على مصحف واحد ولولا وجود ما يخالف مصحفه لما كان لإحراقها وجه . ولذلك ضبط عبد الله بن أبي داود السجستاني موارد الإختلاف بين تلك المصاحف في كتاب سماه كتاب المصاحف .

هذه الأقسام التي افترض وجودها بالمصاحف ونص عليها المسلمون باختلاف مذاهبهم .

٤ ـ زيادة بعض ما بالمصحف الذي بين أيدينا وأنه ليس من القرآن المنزل وهذا المعنى من التحريف أجمع المسلمون على عدمه .

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر جـ ١ ص ٩ .

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ١ ص ٤٦ .

(٣) الإتقان جـ١ ص ١٣٨ .

٥ ـ التحريف بمعنى النقص أو أن المصحف الذي بين أيدي المسلمين لا يشتمل على جميع القرآن لأن بعضه قد ضاع ، وهذا القسم يذهب جمهور المسلمين إلى عدمه وأن من ادعاه فهو على خطأ وسيأتي برهانهم على خطأ هذا القول .

١ ـ موقف الشيعة الامامية :

إن من المتسالم عليه عند الشيعة ، والذي عليه جمهور مجتهديهم هو عدم وقوع التحريف بالقرآن وأن القرآن الموجود بأيدي المسلمين فعلاً هو جميع القرآن الذي نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد صرح بذلك فطاحل علماء الإمامية ومنهم من ذكرهم السيد الخوئي في كتابه البيان وهم :

آ ـ الشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي الذي اعتبر عدم التحريف من معتقدات الامامية .

ب ـ الشيخ الطوسي في تفسيره البيان وقد ذهب الى عدم التحريف وذكر أن ذلك هو رأي أستاذه السيد الشريف المرتضى الذي بالغ في الدفاع عن هذا الرأي.

جـ ـ شيخ الفقهاء ـ كما يسمونه ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي ذهب إلى أن الشيعة اجماعهم على عدم التحريف مؤكد .

د ـ الطبرسي في تفسيره في مجمع البيان فقد ذهب إلى عدم التحريف ودلل عليه .

هـ الشهنهاني في كتابه العروة الوثقى ، والملا محسن الفيض في علم اليقين والشيخ جواد البلاغي في آلاء الرحمن حشدوا البراهين على عدم وقوع التحريف بالقرآن .

و ـ ونقل أن ذلك رأي الشيخ المفيد والشيخ البهائي والقاضي نور الله .

هؤلاء كلهم عكسوا لنا رأي الامامية في عدم وقوع التحريف بالقرآن واستدلوا على ذلك بأدلتهم المذكورة في مواطنها .

٢ ـ جماعة من الشيعة وأعلام السنة :

ذهب هؤلاء إلى وقوع التحريف بالمعنى الخامس بالقرآن الكريم . أما الشيعة منهم فقد استدلوا بأدلة فندها المحققون من الشيعة وسيأتي ذكر بعضها . اما السنة

فسأذكر لك رواياتهم فيما يلي بعد الإستشهاد بقول للرافعي في كتابه إعجاز القرآن قال :

(ذهب جماعة من أهل الكلام ممن لا صناعة لهم إلا الظن والتأويل واستخراج الأساليب الجدلية في كل حكم وكل قول إلى جواز أن يكون قد سقط عنهم في القرآن شيء حملاً على ما وصفوا عن كيفية جمعه) ولنستمع إلى بعض الروايات في ذلك .

١ ـ فقد روى مسلم في صحيحه والبخاري بسنديهما عن ابن عباس ان عمرا قال وهو على المنبر أن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل إليه آية الرجم فقرآناها وعقلناها ووعيناها فلذا رجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق من زنى إذا أحصن من الرجال ، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله تعالى :

(ان لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم) كما روي ذلك عن الإمام أحمد في مسنده .

٢ ـ يقول ابن اشته في كتابه المصاحف عن الليث بن سعد : ان أول من جمع القرأن أبو بكر وكتبه زيد ، وأن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها له لأنه كان وحده ، ذكر ذلك عن ابن اشته صاحب الاتقان .

أما آية الرجم التي جاء بها عمر ولم يكتبها زيد فهي هكذا : (إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) .

٣ ـ وذكر السيوطي عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائتي آية فلما كتب عثمان المصحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن .

٤ ـ وروى صاحب منتخب كنز العمال بسنده عن زرعي ابن بني كعب أنه قال كم آية تقرأ سورة الأحزاب قلت ثلاثاً وسبعين آية ، فقال : إن كانت لتضاهي سورة البقرة او هي أطول من سورة البقرة .

وهذا جزء من عشرات الروايات الواردة عن أعلام السنة في وقوع التحريف بالقرآن بهذا المعنى ، وقد حملوا هذه الروايات التي تنص على سقوط بعض آيات القرآن على ما نسخت تلاوته وهو أمر لم يثبت ، وذلك لأن هذا النسخ متى كان وقوعه ؟ هل كان وقوعه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أمر يحتاج إلى إثبات وقد اتفق العلماء على عدم نسخ الكتاب بخبر الواحد ، بل ذهب الشافعي وأصحابه وأكثر أهل الظاهر إلى امتناع نسخ الكتاب حتى بالسنة المتواترة، كما يذهب إلى عدم نسخه بالسنة المتواترة الإمام أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه ، فكيف يصح نسخ الكتاب بهذه الروايات التي ذكرنا قسماً منها وهي أخبار آحاد وغير متواترة .

أما إذا قلنا أن نسخ التلاوة وقع بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا هو عين القول بوقوع التحريف فنخلص من ذلك ، أن الذين يذهبون إلى القول بنسخ تلاوة بعض آيات القرآن هم القائلون بالتحريف كما ذكرنا ذلك .

أما الشيعة فكما أسلفت ان بعضهم استند في ذلك إلى روايات ضعيفة في سندها ودلالتها ومعارضة بما هو أقوى سنداً ودلالة ، وبعضها ساقط على شرط من رواها كما هو الحال في روايات الكليني في الكافي والتي توهم أنه يتبنى هذا الرأي (القول بالتحريف) مع انه اشترط في كتابه المذكور أن الرواية إذا خالفت كتاب الله وسنة نبيه فهي مطروحة ، وهذه الروايات مخالفة للكتاب والسنة كما سيأتينا ، فهي مطروحة بناء على منهجه ولا يؤخذ بها فكيف يصح مع هذا نسبة القول بالتحريف إلى الكليني وإليك أدلة الشيعة بعدم وقوع التحريف بالقرآن :

١ ـ الدليل الأول :

قوله تعالى: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ الحجر : ٩ .

دلت هذه الآية على حفظ القرآن من التحريف ومن وقوع التلاعب فيه .

وقد ادعى بعضهم أن معنى ذلك حفظ القرآن بالجملة دون الأفراد والجزئيات وهي دعوة باطلة لأنه لو كان ذلك لكفى أن يكون القرآن محفوظاً في اللوح المحفوظ ، وإنما المراد حفظ القرآن بين الناس لأن في عدم حفظه هدم الدين من أساسه كما ذكرت في المقدمة .

٢ ـ الدليل الثاني :

قوله تعالى ﴿ **وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ فصلت : ٤١ ـ ٤١ . دلت هاتان الآيتان على نفي كل باطل عن القرآن الكريم وذلك أن النفي إذا وقع على الباطل أفاد العموم ، ولما كان التحريف من الباطل فهو منفي بالقرآن الكريم .

٣ ـ الدليل الثالث :

قوله صلى الله عليه وآله وسلم اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، وهذا الحديث من الأحاديث التي تظافر الفريقان على روايتها وقد دل على وجوب التمسك بالكتاب والسنة ، ولو كان شيء من الكتاب ضائعاً لما أمكن التمسك به لاحتمال أن يكون بعض هذا الضائع فيه قرينة على خلاف ظواهر القرآن فلا يكون القرآن حجة ، ولكن وجوب التمسك باق إلى يوم القيامة ، فدل هذا على أن القرآن كامل لم يسقط منه شيء ولم يضع منه شيء .

أقتصر من أدلتهم على هذه الثلاثة ومن أراد التوسع فبإمكانه الرجوع إلى المصادر التي سأذكرها في نهاية البحث .

بقي هناك شيء ، وهو وجود الروايات التي يفهم منها التحريف عن الشيعة ومن ذلك :

آ ـ الروايات التي تذهب إلى أن علياً عليه السلام عنده مصحف غير المصحف المتداول بأيدي المسلمين لأنه مشتمل على ما ليس في هذا المصحف الموجود بين أيدينا .

والجواب : أن الزيادة المذكورة في مصحف علي عليه السلام : إنما هي الشروح والتفاسير التي كان يسمعها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فثبّتها عقب الآيات التي يسمعها ، اما القول بأن فيه زيادة قرآنية فهو باطل قطعاً كما مر عليك في آرائهم وأدلتهم .

ب ـ روايات أخرى كثيرة وردت عن أهل البيت عليهم السلام تذهب إلى التحريف ، والجواب عنها أن التحريف المقصود من قبيل حرف بعض معاني الآيات وتحويلها من مكانها إلى مكان آخر ، ومن الأدلة على ذلك ما رواه

الكليني في الكافي بسنده عن ابن بصير قال سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ النساء : ٥٩ . من هم أولو الأمر ، فقال نزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام فقلت له إن الناس يقولون فماله لم يسم علياً وأهل بيته في كتاب الله . فقال الصادق قولوا لهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه الصلاة و لم يسم الله تعالى ثلاثاً أو أربعاً حتى كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسر لهم ذلك .

ومثل محاولة بعض المفسرين حرف مفاد الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ المائدة : ٥٥ . عن علي عليه السلام وذلك لأن لسان الآية لسان عموم مع أن القرآن الكريم يستعمل ميم الجمع جرياً على عادة العرب للتعظيم ، هذا بالإضافة إلى أن الروايات التي تبحث عن أسباب النزول تنص على أن المقصود به علي بن أبي طالب عليه السلام كما ذكر ذلك جمهور المفسرين .

وعلى كل فإن هذه الروايات في التحريف تحمل على هذا المعنى ، وهو حرف بعض معاني الآيات إلى غير مواضعها .

وأكرر مرة ثانية أن المتسالم عليه عند الشيعة أن القرآن الكريم الموجود بأيدي المسلمين اليوم هو كل ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل قول عدا ذلك نقصه وزيادته كما صورناه باطل عندهم .

﴿ **قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾

قرآن كريم